

الأمر إلينا، إن شئنا استقمنا، وإن شئنا لم نستقم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢٩).

تفسير سُورَةُ الْانْفِطَارِ

روى النسائي عن جابر قال: قام معاذ فصلى العشاء الآخرة فطول فقال النبي ﷺ: «أفتان أنت يا معاذ؟ أين كنت عن ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، ﴿وَالْفُجْحَى﴾، و﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾» وأصل الحديث مخرج في الصحيحين، ولكن ذكر ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ في إفراد النسائي. وعن عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ قال: «من سره أن ينظر إلى القيامة رأي العين فليقرأ ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾، و﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾، و﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ (١) وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انشََّتْ (٢) وَإِذَا الْيَمَارُ فُجِرَتْ (٣) وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ (٤) عَلِمْتَ نَفْسٌ مَا قَدَمَتْ وَأَخَّرَتْ (٥) يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ (٨) كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ (٩) وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كَرِيمًا كَنِينٍ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَقْلَعُونَ (١٢)

﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ (١) أي انشقت، كما قال تعالى: ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾ [الزمل: ١٨] ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انشََّتْ﴾ (٢) أي تساقطت ﴿وَإِذَا الْيَمَارُ فُجِرَتْ﴾ (٣) فجر بعضها في بعض فذهب ماؤها، أو اختلط عذبها بمالحها، أو ملئت. ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ (٤) بحثت، قال السدي: تبعثر: تحرك فيخرج من فيها ﴿عَلِمْتَ نَفْسٌ مَا قَدَمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ (٥) أي إذا كان هذا حصل هذا. وقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ (٦)؟ هذا تهديد، لا كما يتوهمه بعض الناس من أنه إرشاد إلى الجواب حيث قال: ﴿الْكَرِيمِ﴾ حتى يقول قائلهم: غره كرمه، بل المعنى في هذه الآية: ما غرك يا بن آدم بربك الكريم، أي العظيم حتى أقدمت على معصيته وقابلته بما لا يليق، كما جاء في الحديث «يقول الله تعالى يوم القيامة: يا بن آدم، ما غرك بي؟ يا بن آدم، ماذا أجبتم المرسلين؟» وقوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَلَكَ﴾ (٧) أي ما غرك بالرب الكريم الذي جعلك سوياً مستقيماً معتدلاً القامة منتصبها في أحسن الهيئات والأشكال. روى الإمام أحمد أن رسول الله ﷺ بصق يوماً في كفه، فوضع عليها أصبعه، ثم قال: «قال الله عز وجل: يا بن آدم، أنى تعجزني، وقد خلقتك من مثل هذه؟ حتى إذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين، وللأرض منك وئيد فجمعت ومنعت حتى إذا بلغت التراقي

قلت أتصدق، وأنى أو ان الصدقة؟ ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ أي في أي شبه أب أو أم أو خال أو عم. في الصحيحين عن أبي هريرة أن رجلاً قال: يا رسول الله، إن امرأتي ولدت غلاماً أسود، قال: «وهل لك من إبل؟» قال: نعم، قال: «فما ألوانها؟» قال: حمر، قال: «فهل فيها من أورك؟» قال: نعم، قال: «فأنى أتاها ذلك؟» قال: عسى أن يكون نزع عرق، قال: «وهذا عسى أن يكون نزع عرق» وقال عكرمة في قوله تعالى: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ إن شاء في صورة قرد، وإن شاء في صورة خنزير، أو في صورة كلب، ومعنى هذا أن الله قادر على خلق النطفة على شكل قبيح من الحيوانات المنكرة الخلق، ولكن بقدرته ولطفه وحلمه يخلقه على شكل حسن مستقيم معتدل تام حسن المنظر والهيئة. وقوله: ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ﴾ أي إنما يحملكم على مواجهة الكريم ومقابلته بالمعاصي تكذيب في قلوبكم بالمعاد والجزاء والحساب. ﴿وَأَنَّ عَلَيْكُمْ لَاحْوَظِينَ﴾ كراماً كَنِينِ ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ يعني وإن عليكم لملائكة حفظة كراماً، فلا تقابلوهم بالقباح، فإنهم يكتبون عليكم جميع أعمالكم. روى ابن أبي حاتم أن رسول الله ﷺ قال: «أكرموا الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم إلا عند إحدى حالتين: الجنابة والغائط؛ فإذا اغتسل أحدكم فليستتر بجرم حائط، أو ببيعه، أو ليستره أخوه» وروى البزار عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من حافظين يرفعان إلى الله عز وجل ما حفظا في يوم فيرى في أول الصحيفة وفي آخرها استغفاراً إلا قال الله تعالى قد غفرت لعبدي ما بين طرفي الصحيفة».

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ وَإِنَّ الْفَجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿يَصَلُّونَهَا يَوْمَ الَّذِينَ﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الَّذِينَ﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الَّذِينَ ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾

يخبر تعالى عما يصير الأبرار إليه من النعيم، وهم الذين أطاعوا الله عز وجل، ولم يقابلوه بالمعاصي، روى ابن عساكر عن النبي ﷺ: «إنما سماهم الله الأبرار، لأنهم يروا الآباء والأبناء». ثم ذكر ما يصير إليه الفجار من الجحيم والعذاب المقيم ولهذا قال: ﴿يَصَلُّونَهَا يَوْمَ الَّذِينَ﴾ أي يوم الحساب والجزاء والقيامة ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾ أي لا يغيبون عن العذاب ساعة واحدة، ولا يخفف عنهم من عذابها، ولا يجابون إلى ما يسألون من الموت أو الراحة، ولو يوماً واحداً. وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الَّذِينَ﴾ تعظيم لشأن يوم القيامة، ثم أكد بقوله: ﴿ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الَّذِينَ﴾ ثم فسره بقوله: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا﴾ أي لا يقدر أحد على نفع أحد، ولا خلاصه مما هو فيه إلا أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى، وفي الحديث: «يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، لا أملك لكم من الله شيئاً» ﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ كقوله تعالى: ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: 16]؟ وكقوله: ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ﴾ [الفرقان: 26] قال قتادة: ﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ والأمر والله اليوم لله، لا ينازعه فيه يومئذ أحد.